

مناهل العرفان في علوم القرآن

العامل العاشر .

سمو تربية الصحابة على فضائل الإسلام كلها وكمال تأديهم بآداب هذا الدين الحنيف وشده خوفهم من الله وشفاء نفوسهم إلى حد لا يتفق والكذب خصوصا الكذب على الله تعالى والتجني على أفضل الخليقة صلوات الله وسلامه عليه .

يقول علماء الأخلاق والمشتغلون بعلم النفس وعلوم الاجتماع إن الكذب جناية قبيحة لا يمكن أن يصدر إلا عن نفس ساقطة لم تتأدب ولا يتصور أن يفشوا إلا في شعب شاذ لم يتهذب . ونحن إذا استعرضنا تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم نشاهد العجب في عظمة تأديب الإسلام لهم وتربيته إياهم تربية سامية جعلتهم أشباه الملائكة يمشون على الأرض لا سيما ناحية الصدق والأمانة والتثبت والتحري والاحتياط .

وذلك من كثرة ما قرر القرآن فيهم لهذه الفضائل ومن عناية الرسول بهم علما وعملا ومراقبة حتى أصبحوا بنعمة من الله وفضل منطبعة قلوبهم على هذه الجلائل متشعبة نفوسهم بمبادئ الشرف والنبيل تأبى عليهم كرامتهم أن يقاربوا الكذب أو يقارفوا التهجم . لا سيما التهجم على مقام الكتاب العزيز وكلام صاحب الرسالة .

قالت عائشة Bها ما كان خلق أشد على أصحاب رسول الله من الكذب . ولقد كان رسول الله يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه أحدث توبة D رواه مسلم في مقدمة صحيحه . عوامل أخرى .

إذا استعرضت بعض العوامل السابقة في حفظ الصحابة للكتاب والسنة تجد منها عوامل صالحة أيضا لأن تكون دواعي تثبيتهم في الكتاب والسنة ولهذا اكتفي بالإشارة إليها دون إعادتها . 1 - فذكاء العرب وقوة حوافظهم وشفاء طبعهم إلى آخر ما ذكرنا في العامل الثاني هناك . لا شك أنه داعية من دواعي تثبيتهم أيضا لأن الشأن فيمن نشأ على هذه الصفات أن يكون واثقا مما حفظ فلا يحتاج إلى تزييد ولا يقع في تهجم .

2 - وحب الصحابة لله ولرسوله عامل كذلك من عوامل التثبيت لأن المحب الصادق لا يقنع إلا بما يثق أنه كلام حبيبه من غير لبس ولا شك ولا يرضى أن يفترى الكذب على حبيبه ولا يقبل أن يتقول عليه أو يتهجم في كلامه خصوصا إذا عرف أنه يكره ذلك منه .

انظر العامل الرابع من عوامل الحفظ